

العلاقة بين المحاكاة الحاسوبية والتجربة

إبستمولوجياً وأنطولوجياً^(*)

مينا سيتي يوسف فانوس
كلية الآداب - جامعة القاهرة

الملخص

تُناقش هذه الدراسة طبيعة العلاقة القائمة بين المحاكاة الحاسوبية والتجربة، من المنظور الإبستمولوجي، ومن المنظور الأنطولوجي. وقد ركزت دراستنا على محاولة الإجابة عن أسئلة مثل: هل للمحاكاة الحاسوبية معالم إبستمولوجية مستجدة؟ وهل هناك جوانب مُشتركة بين هذه الإبستمولوجيا وإبستمولوجيا التجربة لدى مدرسة التجريبية الجديدة؟ وإذا كانت هناك فروق إبستمولوجية وأنطولوجية بينهما فما طبيعة هذه الفروق؟ واستهدفت هذه الدراسة إثبات أن إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية لها بضعة معالم فريدة، ولها كذلك بضع معالم أخرى مُشتركة مع إبستمولوجيا التجريب المعروفة وأن مسألة درجة القوة الاستدلالية والفروق الأنطولوجية بينهما تعتمد على سياق الاستخدام النسبي والخلفية المعرفية المتوفرة عن النظام المُستهدف وذلك عن طريق التحليل النقدي المنهجي الإبستمولوجي لهما. وبالتالي تخلص هذه الدراسة إلى أن عمليات المحاكاة الحاسوبية لها حياتها الخاصة في العلم وفلسفته.

الكلمات المفتاحية: المحاكاة الحاسوبية، النماذج، التجريب، المادية.

(*) الحبكة الدرامية في الإعلان من منظور نموذج فرايتاج ونموذج السلسلة القصصية: "دراسة مقارنة"، المجلد العاشر، العدد الرابع، أكتوبر ٢٠٢١، ص ٧١-٩٥.

Abstract

This study investigates the nature of the relationship between computer simulation and experiment, both epistemologically and ontologically. It focuses on trying to answer some significant questions, such as: does computer simulation have novel epistemological features? Is there any commonality between this epistemology and the experimental epistemology? What about differing? If there are epistemological and ontological differences between them, what is the nature of such differences? Through a critical methodological epistemological analysis, this study proves that the epistemology of computer simulation has some unique features as well as some common features with the epistemology of experimentation according to the New Experimentalism, and that the matter of the degree of inferential power and also the ontological differences between them depend upon the context of relative use and knowledge background available for the target system. The study emphasizes that computer simulations have a life of their own in science and in its philosophy.

Keywords: Computer simulation, Models, Experimentation, Materiality

مُقَدِّمة

ظهرت أولى عمليات المحاكاة الحاسوبية في مشروع مانهاتن خلال الحرب العالمية الثانية لنمذجة عملية تفجير نووي ثم في مشروع الهدف منه النهوض بكل البحوث المتعلقة بالتنبؤ بالطقس وتطوير الأسلحة النووية. ومنذ ذلك الحين أصبح لا غنى عنها في جميع المجالات العلمية التي استعاضت -بشكل جزئي- عن النشاط التجريبي المختبري الاعتيادي بنشاط مختبري حاسوبي. وتتضمن قائمة العلوم التي تستخدم هذه العمليات على نطاق واسع الفيزياء الفلكية والفيزياء عالية الطاقة والفيزياء الهيدرولوجية والهندسة والطب وعلم الأوبئة وعلم المناخ وميكانيكا الموائع والبيولوجيا التطورية والإيكولوجيا والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والتطبيقات العلمية الطبية والهندسية والتكنولوجية المختلفة وغيرها.

كما أصبح لا مندوحة عن المحاكاة الحاسوبية في تصميم الطائرات ومحاكاة الطيران وتصميم شبكات المرور ومعاملات الأسواق المالية ومحاكاة حوادث السيارات

وتصميم الروبوتات ومحاكاة المعارك العسكرية لتقويم نظم الأسلحة المختلفة وتدريب رواد الفضاء على قيادة مركبة فضائية وصنع تصميمات مستقبلية للتلوث البيئي والتغيرات المناخية التي تنتاب الأرض التي نعيش عليها. كما ازداد الاهتمام بالمحاكاة الحاسوبية في مجال التعليم والدراسة الأكاديمية على وجه الخصوص؛ كونها تعمل على تيسير عمليات إجراء التجارب الكيميائية والتجارب الفيزيائية على سبيل المثال، بطريقة توفر الأمن والسلامة والدقة والوقت والتكلفة، وتحل مشكلة إجراء التجارب العلمية التقليدية في المدارس ذات الفصول المكتظة بالطلاب.

وعلى الرغم من أن المحاكاة الحاسوبية تلعب دوراً مهماً يوماً بعد يوم في الأبحاث العلمية، إلا أن الدراسات المفصلة عن أهميتها بالنسبة لفلسفة العلم لم تنشق إلا في تسعينيات القرن المنصرم^(١). ونمت من ذلك الحين المناقشات الحيوية حول ما إذا كانت عمليات المحاكاة الحاسوبية قد أنتجت تغييرات تستحق الاهتمام الفلسفي^(٢). كما تم طرح مجموعة من الأسئلة الفلسفية مثل: ما بنية إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية؟ هل تعد التجارب الحاسوبية تجارب experiments فعلية؟ وإذا كان هذا هو الحال بالفعل، فبأي معنى؟ هل يمكن اعتبارها شكل من أشكال التجارب الفكريةThought^(٣) Experiments؟ هل تطرح المحاكاة الحاسوبية تحديات وأسئلة جديدة على فلسفة العلم؟ وما الذي تعلمه لنا المحاكاة الحاسوبية حول دور النماذج models^(٤) وبنية النظريات العلمية ودور الخيال العلمي في عملية النمذجة؟ وهلم جرا.

يتم استخدام مصطلح المحاكاة^(٥) الحاسوبية بمعنى ضيق وآخر واسع في فلسفة العلم. بحسب المعنى الضيق نجده "يُشير إلى استخدام حاسوب الكتروني رقمي لتنفيذ نوع معين من الخوارزمية التي يتم تصميمها لحل معادلات رياضية تمثل كيفية تغير خصائص النظام الفرضي المُستهدف بمرور الزمن. وتصبح هذه الخوارزمية نموذج محاكاة حاسوبية عند تنفيذها على حاسوب معين" (Parker, 2013, p 135). ومن أمثلة عمليات المحاكاة الحاسوبية بهذا المعنى تلك التي يتم تنفيذها يومياً في مجال التنبؤ بالطقس. وتحدث هذه العملية عبر تقدير متكرر لحلول المعادلات المثلثة للكيفية التي ستطوّر بها ظروف مثل درجة الحرارة والضغط الجوي في مناطق متفرقة على مدى فترات زمنية قصيرة.

أما بمعناها الواسع "تُشير المحاكاة الحاسوبية إلى الممارسة الكاملة لعملية نمذجة المحاكاة الحاسوبية التي تتألف على الأقل من تشييد نماذج محاكاة حاسوبية، وتشغيل هذه النماذج لإنتاج عمليات محاكاة حاسوبية بمعناها الضيق، وتقييم نماذج المحاكاة الحاسوبية، والقيام باستدلالات تنتقل من نتائج المحاكاة الحاسوبية إلى استنتاجات حول النظم المُستهدفة، وتبرير هذه الاستدلالات" (Parker, 2013, p 136). وعندما يكتب فلاسفة العلم عن المحاكاة الحاسوبية^{١١} ويضعون ادعاءات حول طبيعة الخصائص الإستمولوجية أو الميثودولوجية لعمليات المحاكاة الحاسوبية فإنهم عادة ما يقصدون المصطلح بحسب ما هو مفهوم في هذا المعنى الواسع.

ويتم استخدام كافة أنواع عمليات المحاكاة الحاسوبية (سواء كانت العمليات القائمة على المعادلات أو العمليات القائمة على الوكيل العقلائي أو العمليات متعددة المقاييس أو عمليات محاكاة مونتي كارلو^{١٢}) لتحقيق أغراض وأهداف مُختلفة: كالتنبؤ أو فهم ممارسات النظم أو للتفسير أو للاستكشاف. وينبغي أن نضع في اعتبارنا اعتماد الإجراءات اللازمة لتعقب نتائج عمليات المحاكاة الحاسوبية على أي نوع من هذه الأهداف سيتم بناء المحاكاة.

وتستهدف دراستنا هنا بالتحديد طرح سؤال مُحدد: إذا كان العلماء الذين يستخدمون المحاكاة الحاسوبية يقعون أحيانا في الخلط، فيصنف البعض منهم أنفسهم كمنظريين والبعض الآخر كتجريبيين، وإذا كان العديد من العلماء المعاصرين ينخرطون في الوقت الحاضر فيما يسمى بالتجارب الحاسوبية، فما العلاقة القائمة بين المحاكاة الحاسوبية والتجربة بمعناها التقليدي المتعارف عليه^{١٣}؟ مما يستدعى قيام مناقشة فلسفية حول المقصود بالتجارب الحاسوبية وطبيعة صلتها بالتجارب التقليدية المعتادة في العلم، بهدف إثبات أنه بالرغم من وجود جوانب ميثودولوجية وإستمولوجية وأنطولوجية مشتركة بين التجريب والمحاكاة الحاسوبية إلا أن للمحاكاة الحاسوبية «حياتها الخاصة».

أولاً: أوجه التشابه الإستمولوجي بين المحاكاة الحاسوبية والتجربة

تحتاج المحاكاة الحاسوبية إلى إستمولوجيا؛ كونها تنتهي إلى نتائج واستنتاجات. مما يدفعنا إلى البحث عن معايير لتحديد ما إذا كان لهذه النتائج ما يبررها أم لا. وكما سبق وذكرنا أثبتت طرق المحاكاة الحاسوبية واستدلالتها نفسها في عدة تخصصات ومجالات

علمية. ليصبح السؤال الفلسفي المركزي هنا: ما الذي يبرر هذه الاستدلالات؟ وكيف يمكن تقييم نتائج عمليات المحاكاة الحاسوبية؟ وما مدى موثوقيتها؟ وهل يمكن الثقة في تنبؤاتها؟ تلك هي الأسئلة المركزية في إستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية. وسوف نحاول الإجابة على هذه الأسئلة عبر طرح سؤالين: (١) هل تحظى إستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية بمعالم مستجدة؟ (٢) وما القواسم المشتركة الكائنة، إن كانت هناك قواسم مشتركة بالفعل، بين هذه الإستمولوجيا وإستمولوجيا التجربة؟

إن الخطوة الأولى في الإجابة عن هذين السؤالين، والسؤال الأول بالأخص، هي طرح مثال على نوع من عمليات المحاكاة الحاسوبية؛ مما يمكننا من تسليط الضوء على الخطوات الاستنتاجية المختلفة الواقعة خلال عملية المحاكاة، وتحديد العوامل المتنوعة المشتركة فيها، مما يمنحنا صورة إستمولوجية دقيقة عما يجري فيها. ولما كانت هناك أنواع مختلفة من عمليات المحاكاة الحاسوبية، بعضها ينطلق من المعادلات والنظريات والبعض الآخر من الوكيل العقلائي وغيرها، سنتناول المثال الذي طرحه إريك وينسبرج Eric Winsberg^(١) (Winsberg, 1999b) على نوع عمليات المحاكاة الحاسوبية الشائع استخدمها في العلوم الفيزيائية والقائمة على معادلات ومدفوعة نظرياً.

أولى خطوات هذا النوع من المحاكاة هي تحديد النظرية التي يقع فيها مجال الظواهر. إنها أساس هذه المحاكاة ومنطلقها. فقد نبدأ على سبيل المثال بقوانين أو معادلات ثم يأتي ما يسميه وينسبرج عملية بناء التسلسل الهرمي لنماذج المحاكاة. (١) النماذج الميكانيكية: فلا تجربنا النظرية في حد ذاتها إلا بالقليل عن النظم المثالية. وتتطلب عملية تطبيقها على نظم العالم الحقيقية نموذجاً ميكانيكياً يكون بمثابة تشخيص هيكل للنظام الفيزيائي يُمكننا من استخدام البنية النظرية لتعيين مجموعة معادلات للنظام. (٢) النماذج الديناميكية: لا يزال النموذج الميكانيكي كياناً عاماً للغاية؛ كونه لا يخص أي نظام مُحدد. لهذا تصبح خطوة المحاكاة الثانية هي تحديد فئة من البارامترات والقيم الحدودية والشروط الأولية التي تربط النموذج النظري بفئة مُحددة من الظواهر مما يخلق نموذجاً (أو نماذج) ديناميكياً لفئة مُحددة من الظواهر. (٣) النماذج الحاسوبية: تأتي بعد ذلك عملية تحويل النموذج الديناميكي إلى نموذج حاسوبي؛ للتغلب على مشكلة استعصاء التحليل. ولهذه العملية خطوتان: أولاً، ضرورة تحويل المعادلات التفاضلية

المستمرة التي للنموذج الديناميكي إلى معادلات جبرية مُنفصلة ليقوم الحاسوب بحلها. وثانياً، استخدام المحاكى افتراضات نموذجية عينية ad hoc لجعل نماذجهم الحاسوبية أكثر قابلية للانقياد (Winsberg, 1999b, pp 279-282).

(٤) النماذج العينية: وتتضمن هذه العملية تقنيات مثل تبسيط الافتراضات وإحلال علاقات تجريبية أبسط محل الأعداء بل وكذلك محل قوانين أكثر نظرية. ومن الممكن أن يكون هذا النموذج مبتكر. فقد يتضمن استبعاد بعض الاعتبارات الموجودة في النموذج الديناميكي أو صنع اعتبارات جديدة. واحياناً يتجاهل المحاكيون عوامل بسبب حدود مقدرة الحاسوب، وهو ما يُشار إليه بعملية نمذجة عينية استيعادية. كما أن هناك نماذج عينية إبداعية تتضمن علاقات رياضية بسيطة نسبياً يتم تصميمها لتجسد بشكل تقريبي التأثير الفيزيائي في الطبيعة، مما يجعل المحاكاة أكثر واقعية. (٥) نموذج الظواهر: بمجرد تطبيق نموذج حاسوبي على حاسوب على هيئة خوارزمية معينة، ينتج عن الخوارزمية نتائج في شكل مجموعة من البيانات، عادة ما تكون كبيرة للغاية. وتحتاج مجموعة البيانات تلك إلى ترجمة تفسيرية. ولهذا يمكن جعل البيانات مصورة عينيًا وتستخدم بالتزامن مع غيرها من مصادر المعرفة، بما في ذلك الملاحظة Observation، من أجل التوصل إلى الهدف النهائي من دراسة المحاكاة ألا وهو نموذج للظواهر (Winsberg, 1999b, pp 282-283).

يقوم المحاكى بعد ذلك للتأكد من دقة مخرجات عملية المحاكاة الحاسوبية بإجراءين: التحقق Verification والصحة Validation. يسعى نشاط التحقق إلى تحديد ما إذا كان قد تم حل معادلات النموذج الديناميكية بمستوى الدقة المطلوب عن طريق الحاسوب أم لا. بينما يسعى نشاط التأكد من الصحة إلى تحديد ما إذا كانت مخرجات المحاكاة تمثل النظام الأصلي الحقيقي المُستهدف بدقة كافية في النواحي ذات الصلة وفي ضوء الأسئلة التي يأمل العلماء الإجابة عليها حول النظام المُستهدف (Winsberg, 2010, pp 19-20).

إنها إبستمولوجيا فريدة وغير مألوفة في فلسفة العلم التي كانت إبستمولوجيا النظريات فيها تهتم بتأييد^(٤) النظريات وتبريرها لا بتطبيقات مثل هذه النظريات. فقد كانت إبستمولوجيا فلسفة العلم مُهمتها تقرير متى تكون الخطوات المُتجهة من الوقائع

مُنخفضة المستوى التي يتم جمعها لبناء تعميمات عالية المستوى مثل القوانين إلى النظريات مُبررة.

وبعبارة أخرى كان تصورهما الفرضي الاستنباطي يدور حول تبرير النظريات عن طريق الوقائع منخفضة المستوى. بينما ما يجري في إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية هو اتجاه عكسي. ينطلق من إقرار مستقل للاستنتاجات التي نستخلصها من النظريات العلمية وغالبًا ما لا تحمل مخرجات المحاكاة النهائية علاقة بسيطة ومباشرة بالنظريات التي تنطلق منها. علاوة على أن إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية لا تقارن مثل الإبستمولوجيا السابقة التنبؤات النظرية بالنتائج الملاحظة من أجل اختبار النظريات. فلما كانت إحدى اغراض استخدام المحاكاة الحاسوبية توليد تمثيلات للنظم التي تعاني من نقص البيانات بشكل واضح، فقد أخذت على عاتقها تبرير الانتقالات والتحويلات التي تقوم بها بشكل داخلي عن طريق التحقق، وليس فقط تبرير ما تنتجه من مخرجات وكفى.

ذهب وينسبرج إلى أن أي إبستمولوجيا كافية للمحاكاة الحاسوبية ينبغي أن تفي بثلاثة شروط. أولاً، يجب أن تكون متحدرة downward تعكس واقعة أنه، على الأقل في كثير من الحالات، توفر النظرية العلمية المقبولة نقطة انطلاق عملية بناء نماذج المحاكاة الحاسوبية، وتلعب دورًا مهمًا في تبرير الاستدلالات المُنتقلة من نتائج المحاكاة إلى الاستنتاجات الموضوعية حول نظم العالم الفعلي المُستهدفة. وبعبارة أخرى على إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية الكافية أن تُقر بأن الاستدلالات عادة ما تحدث بشكل مُتحدّر من النظرية المقبولة. ثانيًا، يجب أن تكون إبستمولوجيا مؤلفة من عناصر مُختلفة، تأخذ في اعتبارها عدم اعتماد نتائج المحاكاة على النظرية فقط، وإنما على العديد من المصادر والمكونات النموذجية الأخرى بالمثل، بما في ذلك البارامترات شبه التجريبية وطرق الحل العددية والحيل الرياضية والافتراضات العينية ومحولات برمجية وعتاد صلب حاسوبي. ثالثًا، عليها أن تكون مُستقلة، مما يسمح بمجرد مقارنة محدودة بين الافتراضات والنتائج المُمنذجة وبيانات العالم الحقيقي (Winsberg, 2001).

ركز وينسبرج عند صياغة هذه الشروط على عمليات المحاكاة الحاسوبية القائمة على المعادلات في العلوم الفيزيائية، حيث عادة ما تكون المحاكاة مدفوعة بنظرية. بينما قد تكون هناك شروط أخرى أكثر ملاءمة للمحاكاة الحاسوبية القائمة على الوكيل العقلاني

في العلوم الاجتماعية على سبيل المثال، حيث يتم بناء النماذج في قليل من الأحيان على نظرية كمية مؤسّسة. إن شروط وينسبرج لم تول اهتماماً كافياً للأهداف المتنوعة التي يتم من أجلها استخدام أنواع مختلفة من عمليات المحاكاة الحاسوبية. وبناء عليه، ربما ينبغي تشخيص إبستمولوجيا المحاكاة الإبستمولوجية من نواحي أخرى. ومع ذلك تؤكد حتى هذه التشخيصات المختلفة فريدة إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية وجدتها على أي حال.

دعنا نتقل الآن إلى السؤال الثاني: ما القواسم المشتركة الواقعة، إن كانت هناك قواسم مُشتركة بالفعل، بين إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية وإبستمولوجيا التجارب؟ عندما نلق نظرة سريعة على تاريخ تطوّر إبستمولوجيا التجريب وفلسفته منذ القرن العشرين وحتى الوقت الحالي، نجد أن هناك ثلاثة مراحل مرت بها هذه الإبستمولوجيا. مرحلة أولى ما قبل ثمانينيات القرن العشرين اعتادت خلالها فلسفة العلم على أن يكون شغلها الشاغل موجه نحو النظريات والمفاهيم العلمية وإعطاء اهتمام ضئيل للتجارب. بينما وقعت في المرحلة الثانية خلال الثمانينيات بدايات سريعة لتطوّر فلسفة التجريب مع ظهور مدرسة التجريبية الجديدة New Experimentalism، ثم الافتقاد إلى هذه اللحظة في المرحلة الثالثة خلال العقد التالي. ولإثبات ذلك يكفي الرجوع إلى الاعداد الأخيرة لمجلات فلسفة العلم المعروفة ومؤلفاتها أيضاً.

وبناء عليه سنتناول إبستمولوجيا التجريب على نحو ما تبدت في المرحلة الثانية كمنطلق للمقارنة بينها وبين إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية. وعند الرجوع إلى هذه المرحلة سنجد أنه قد أصبحت نظرة «النظرية أولاً» خلال الثمانينيات موضع هجوم ضار. فقد دعا إيان هاكنج Ian Hacking إلى ضرورة إعادة فحص الأهمية الإبستمولوجية للتجريب. فتبعاً له التجريب له "حياته الخاصة" (Hacking, 1983, p 150).

إن التجربة مستقلة عن النظرية التي هي واسعة النطاق. وهذا تناقض واضح مع النظرية البوبرية التي تذهب إلى أن النظرية تسبق التجارب وأنه ليس هناك تجربة بلا نظرية (كارل بوبر، 1986، ص 103). بينما هناك العديد من الأمثلة التي يمكن استخلاصها من تاريخ العلم بوصفها مضادة للنظرة البوبرية، فإن الملاحظات الأصيلة لاكتشاف كارولين هرشيل Carolyn Herschel للمذنبات، وعمل وليام هرشيل على «الحرارة الإشعاعية»، وملاحظة ديفي Davy للغاز الصادر من قبل الطحالب وغيرها، لا

نجد في أي من هذه الحالات أي نظرية للظواهر الواقعة تحت التحقيق لدى المجرّب. ولربما تلاحظ -أيضاً- أن قياسات القرن التاسع عشر للأطياف الذرية والعمل القائم على طبقات وخصائص الجزيئات الأولية خلال الستينيات كل منهما أجريا بدون أي توجيه من قبل النظرية. مما يعني أن جزءاً كبيراً من الممارسة التجريبية مستقل عن النظريات عالية المستوى وليس غرضه اختبار هذه النظريات. ولهذا نمو المعرفة التجريبية له ديناميكيته الداخلية الخاصة به. علاوة على ذلك يذهب هاكنج إلى أن الإجابات على بعض الأسئلة الفلسفية القديمة المتعلقة بطبيعة المعرفة العلمية يمكن أن تأتي فقط من خلال الفحص المباشر لما يفعله العلماء داخل المختبر (Hacking, 1983, pp149-166).

انضم إلى هاكنج فلاسفة فيزياء وبيولوجيا ومؤرخو علم باقتناعات مختلفة تماماً في الحركة التي أطلق عليها روبرت إكرمان Robert Ackerman في عام ١٩٨٩ اسم «التجريبية الجديدة». وهي اتجاه ذو تأثير عال في فلسفة العلم الأخيرة التي تقدم المناهج الإحصائية لتأسيس التجارب واختبار الخوارزميات وللتعلم من أخطاء ونجاحات النتائج. فضلاً عن أن التجريبيين الجدد هم الباحثون عن القاعدة الآمنة للعلم على نحو نسبي، ليس في النظرية ولا الملاحظة ولكن في التجربة. وذلك للحصول على الأدوات التي تعمل بوصفها محاكية للدراسات التي تحدث بالفعل. ومن الممثلين المهمين لهذا الاتجاه نجد فلاسفة فيزياء من أمثال هاكنج وبيتر جاليسون Peter Galison وديفيد غودينغ David Gooding وديبورا مايو Deborah Mayo وآلان فرانكلين Alan Franklin وإكرمان وآخرون.

منطلق أو بداية حركة التجريبية الجديدة كانت من جانب الفيزياء التجريبية، وعلى وجه الخصوص من كتاب الفيزيائي التجريبي آلان فرانكلين «إهمال التجربة» (Franklin, 1996). فقد عرض فيه تخطيطاً للبيانات التي تتعلق بالسلاسل التجريبية في الفيزياء. ولقد وضع التجريبيون الجدد العديد من المنطلقات التي تأسر بشكل حسن الكثير من جوانب العلم التجريبي منها على سبيل المثال لا الحصر: تخدم التجارب - أحياناً- أدواراً أخرى غير تقرير قيمة صدق النظريات المحمولة بشكل مسبق. على سبيل المثال إنها ربما تخدم في أن تقوم بدور استكشافي بدون أن تكون ضريرة (Hacking, 1983, p 154) وهناك معرفة تجريبية لها استقرار داخلي خاص بها يبقى مستمراً حتى إذا ما

حدث تحولات محورية في النظريات عالية المستوى (Hacking, 1983, p 167). كما تؤدي العديد من التجارب -بما في ذلك التجارب التحضيرية والاستكشافية- إلى ارتفاع وتيرة المفاجآت (Hacking, 1983, p 134).

قام بعض فلاسفة العلم المهتمين بالمحاكاة الحاسوبية بتوضيح التماثلات القائمة بين عمليات المحاكاة الحاسوبية وإبستمولوجيا التجربة على نحو ما تبنت عند أنصار مدرسة التجريبية الجديدة. فعلى سبيل المثال، ذهب كلٌّ من وينسبرج وتوماس وايسرت Thomas Weissert إلى أن للكثير من استراتيجيات الآن فرانكلين التي يستخدمها العلماء لبناء ثقة في النتائج التجريبية نظائر في سياق المحاكاة الحاسوبية (Weissart, 1997, 1999a, 1999b). ومع ذلك لم يطرحوا تحليلاً تفصيلياً لماهية هذه النظائر مثلما فعلت ويندي باركر Wendy Parker^(١٠) التي طرحت خمس استراتيجيات لفرانكلين ونظائرها في تقييم النموذج وتقييم الكود داخل المحاكاة الحاسوبية (Parker, 2008a). ومن ضمن هذه النظائر الخمسة نذكر على سبيل المثال (للإطلاع على بقية هذه النظائر الخمسة يمكننا الرجوع إلى Parker, 2008a, p168):

استراتيجيات فرانكلين	استراتيجيات تقييم النموذج	استراتيجيات تقييم الكود
١- تعطى الأدوات نتائج أخرى تطابق النتائج المعروفة.	تتلائم مخرجات المحاكاة بشدة مع مختلف بيانات الملاحظة.	تتلائم الحلول المقدره بشدة مع الحلول التحليلية و/أو الحلول العددية الأخرى.
٢- تستجيب الأدوات بالشكل المتوقع بعد التدخل في النظام التجريبي.	تتغير نتائج المحاكاة بالشكل المتوقع بعد التدخل في بارامترات النموذج الأساسية.	تتغير الحلول بالشكل المتوقع بعد التدخل في البارامترات الخوارزمية.

وعن طريق الاستلهام من ديورا مايو، فيلسوفة أخرى من فلاسفة مدرسة

التجريبية الجديدة، تقترح باركر علاجاً لبعض أوجه القصور في المقاربات الحالية لعملية تقييم نماذج المحاكاة الحاسوبية ونتائجها (Parker, 2008b).

إن مايو لديها محاولة لتقديم بديل للبايزية، فهي تدعو إلى استعمال الاحتمالات في الاستدلال العلمي بالمثل، ولكن ليس بمقياس الاحتمالات الذاتية البايزية. فاحتمالات مايو موضوعية وتقيس التكرار النسبي حيث إجراء الاختبار التجريبي يسمح بمرور الفرض الكاذب. فإذا كانت احتمالية الخطأ منخفضة للغاية، فحينئذ الاختبار يظفر بعلامة «حاد» (Mayo, 1996).

تعد فكرة الاختبار الحاد Severe Test مركزية بالنسبة لحساب الاحتمالات عند مايو. والحدة مفهوم تقني مستلخص من الاختبار الإحصائي في نظرية بيرسون-نيومان. إنها متعلقة باحتمالية أن بعض الإجراءات الاختبارية قد ترفض الفرض الصفري (العدمى Null Hypothesis) على الرغم من صحته. يطلق الإحصائيون على هذا النمط اسم خطأ من النوع الأول Type I error. واحتمال ارتكاب هذا الخطأ سمي «احتمال الخطأ». أي إجراء اختباري يربح علامة "حاد" على نحو دقيق إذا احتمال الخطأ منخفض للغاية، وعلى نقيض البايزية لا تفسر مايو الاحتمالات بوصفها درجات ذاتية من الاعتقاد. بدلاً من ذلك الاحتمالات الخطأ هي تكرارات نسبية في فئة مرجعية معينة من الاختبارات. وهكذا تتبنى مايو تفسير موضوعي للاحتمال. علاوة على ذلك احتمالات الخطأ لا ترتبط بالقضايا ولا بالفروض. فهي خاصة من خواص الاختبارات. فضلاً عن أنه من المهم التفرقة بين حدة بوبر وحدة مايو. فالحدة عند الأخيرة تقول بأن الفرض H يمر من الاختبار الحاد إذا الفرض نفسه تم اختباره. وليس من المهم - على نحو ما ادعى البراديم البوبري - أن تكون كل الفروض البديلة لـ H فاشلة، بحيث يكون الفرض H هو الوحيد الذي مر من الاختبار.

ومصطلح «الخطأ Error» هنا عند مايو لا يفترض بالضرورة أن يكون له المعنى التقني الذي تعطيه النظرية الاختبارية الإحصائية الصورية (أي نمط الخطأ الإحصائي من النوع الأول). ولكن المعنى الأكثر عقلانية «للغلط Mistake». فالغلطات المعترف بها في التحقيقات التجريبية تشمل - على سبيل المثال لا الحصر:

١. غلط المعالجة اليدوية التجريبية للمعلومات الحقيقية Real Effects أو غلط

المعلومات المصادفة للارتباطات أو الانتظامات الأصلية؛

٢. غلطات كمية Quantity أو غلطات في قيمة Value البارامتر؛

٣. غلطات حول عامل علّي Causal Factor؛

٤. غلطات حول افتراضات البيانات التجريبية (Weber, 2005, pp 113-114).

وعلى الرغم من تنوع الأخطاء الممكنة تلك، تعتقد مايو أن هناك حجة مشتركة مخططة واقعة تحت الاختبارات Tests التي لها بعض الوسائل للسيطرة على الأخطاء الممكنة تلك، يُطلق عليها الحجة المستخلصة من الخطأ Argument from Error (كما تظهر في ١١ أو ١٢):

(١) معروف أن الخطأ يغيب عندما {وقفظ إلى الحد الذي} إجراء التحقيق {الذي يشتمل على عدة اختبارات} يرافقه احتمالية عالية لاكتشاف الخطأ إذا - فقط إذا - وُجد برغم ذلك عدم اكتشاف خطأ.

(٢) معروف أن الخطأ يظهر عند إجراء التحقيق الذي له احتمالية عالية لعدم اكتشاف الخطأ إذا - فقط إذا - لا يجد برغم ذلك اكتشاف خطأ (Mayo, 1996, pp 184-185).

تذهب باركر إلى أن مقارنة الخطأ الاحصائي تلك التي كانت تتناول التجربة التقليدية قادرة على تسليط الضوء على إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية. فإن السؤال المحوري في إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية من منظور مقارنة الخطأ الاحصائي يصبح «ما الذي يضمن اعتبارنا محاكاة حاسوبية اختبار حاد لبعض الفروض المتعلقة بالعالم الطبيعي؟» هل حقاً بإمكان نماذج الطقس والمناخ، أو نماذج المحاكاة الحاسوبية في الحقول الأخرى، أن توفر دليل حسن بخصوص الفروض المتعلقة بنظم العالم الحقيقي المُستهدفة؟ فتقترح مقارنة مايو، في حالة التجريب التقليدي، مناقشة نتائج الاختبارات الحادة التي تسبر غور مصادر مُحددة للخطأ على نحو ما رأينا. ولسوف تتضمن هذه الاستراتيجية في حالة المحاكاة الحاسوبية إثبات أن مصادر الخطأ المعيارية والمُتعارف عليها في دراسات المحاكاة الحاسوبية إما غائبة أو من غير المحتمل تأثيرها على نتائج المحاكاة بشكل يتجاوز حد معين.

ولقد صاغ العلماء وبعض الفلاسفة بالفعل بعض التصنيفات لمصادر الخطأ التي من الممكن أن تؤثر على نتائج المحاكاة الحاسوبية. وعرضت باركر محاولة أولية لتصنيف يتضمن: أخطاء في تصميم الدراسة المحاكية، وأخطاء نمذجة أساسية، وأخطاء في معالجة البيانات، وأخطاء في خوارزمية الحل، وأخطاء عددية، وأخطاء برمجية، وأخطاء متعلقة بالعتاد الصلب (Parker, 2008b, p 376).

كما استخدم وينسبرج بطريقة مماثلة أعمال هاكنج لسحب تشابه قائم بين إبستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية وإبستمولوجيا التجربة. فيقول هاكنج "لقد كتبت [ذات مرة] أن للتجارب حياتها الخاصة. لقد أردت بشكل جزئي نشر الواقعة القائلة بأن التجارب عضوية ومتطورة ومتغيرة، ولكنها مع ذلك تحتفظ بتطور معين طويل الأمد مما يمكننا من الحديث عن تكرار التجارب وإعادةها ... إنني أعتقد أن للتجارب حياة: ناضجة ومتطورة ومرتفعة وليست مجرد عملية إعادة تدوير، ولكنها بالمعنى الحرفي إعادة تجهيز" (Hacking, 1992, p 307).

يأتي هذا المقطع من فقرة ذهب فيها هاكنج إلى أن التجارب الفكرية - بخلاف التجارب الفعلية - ليس لها حياتها الخاصة. ويود وينسبرج التأكيد على أن لتقنيات المحاكاة الحاسوبية حياتها الخاصة أيضًا (Winsberg, 2003, pp 121-125). ويقصد وينسبرج بكلمة تقنيات هنا "كل الأنشطة والممارسات والافتراضات التي تدخل في عملية تنفيذ هذه المحاكاة" (Winsberg, 2003, p. 121). ويتم اعتماد بعض التقنيات التي يستخدمها القائمين بالمحاكاة الحاسوبية لبناء نماذجهم بالطريقة نفسها التي صرح هاكنج بأن الأدوات والإجراءات والطرق التجريبية تفعلها؛ كونها تطوّر أوراق اعتمادها الخاصة عبر فترة طويلة من الزمن وتصبح الزامية بعمق، وبعبارة أخرى إنها مُبررة ذاتيًا.

فبحسب وينسبرج عندما يُشيد القائمين بالمحاكاة الحاسوبية نموذج، فإن مصداقية النموذج لا تأتي فقط من النظرية الحاكمة، وإنما من حيثيات اعتماد تقنيات بناء النموذج المؤسسة سابقًا التي تم وضعها على مدى طويل من التوظيف والاستخدام. وما يقصده وينسبرج من أن لهذه التقنيات حياة خاصة هو كونها تحمل معها تاريخها الخاص الحافل بالإنجازات والنجاحات السابقة. وعندما يتم استخدامها بشكل سليم، فإنها تحمل معها تفويض مستقل للاعتقاد في النماذج التي تستخدمها للبناء. لتصبح الكثير من

تقنيات النمذجة الحاسوبية شبيهة إلى حد بعيد بالميكروسكوبات وغرف الفقاقيع التي وصفها كلٌّ من هاكنج وجاليسون.

ثانياً: أوجه الاختلاف بين المحاكاة الحاسوبية والتجربة إستمولوجياً وأنطولوجياً

سبق وذكرنا في القسم السابق أن لعمليات المحاكاة الحاسوبية معالم إستمولوجية مُشتركة مع التجارب. ولكن هل هناك فروق نوعية إستمولوجية وأنطولوجية بين هذين النشاطين؟ وإذا كانت هناك بالفعل هذه الفروق، كيف يمكن تشخيصها؟ هل هناك نواحي تختلف فيها طبيعة العلاقة الإستمولوجية والعلاقة الأنطولوجية بين الأداة والطبيعة⁽¹⁾ في الحالتين؟

يمكننا عبر الإطلاع على الدراسات الفلسفية التي تناولت هذا الموضوع بالمناقشة أن نرى عدد من وجهات النظر المختلفة. فهناك من يميل إلى الاعتقاد بأن النشاط التجريبي ونشاط المحاكاة الحاسوبية يختلفان عن بعضهما البعض، طارحاً أسبابه وبراهينه على ذلك. وهناك من يركز في المقابل على الصفات التجريبية لعمليات المحاكاة الحاسوبية، ولا يجد أي اختلاف جوهري نوعي بين التجربة والمحاكاة الحاسوبية بحسب مُنطلقاته الخاصة وأدلته. وسوف نقوم بطرح وجهات النظر المختلفة تلك والردود عليها؛ حتى نصل إلى الرأي الأقوى والأصوب من وجهة نظرنا.

١ - الموضوع الفعلي موضع الاهتمام

هناك من فلاسفة العلم من يرى أن المُجرب يعمل على إنتاج معرفة تجريبية جديدة حول الموضوع الفعلي موضع الاهتمام عن طريق تطوير هذا الموضوع الفعلي نفسه. بينما لا يفعل المُحاكي الحاسوبي شيء من هذا القبيل، بل يجرب باستخدام نموذج للموضوع الفعلي. فقد ذهب كلٌّ من جيلبرت Gilbert وترويتز Troitzsch إلى أن الفارق الرئيس بين التجربة والمحاكاة الحاسوبية "يكمن في أنه بينما يتحكم المرء في التجربة في الموضوع الفعلي موضع الاهتمام (وليكن على سبيل المثال المواد الكيميائية قيد التحقيق في التجربة الكيميائية)، يُجرب المرء في المحاكاة بنموذج وليس بالظاهرة نفسها" (Gilbert & Troitzsch, 1999, p 13).

لكن مثل هذا الرأي يواجه مشكلة واضحة الا وهي "أن العديد من الأمثلة

البراديمية للتجارب - كما في الدراسات المخبرية التي تتعرض فيها الفئران للمواد الكيميائية على أمل معرفة ما إذا كان مثل هذه المواد تأثيرات مسرطنة على البشر أم لا- تشتمل على تدخل في نماذج للنظم المُستهدفة، لا النظم المُستهدفة ذاتها" (Parker, 2013, p. 140). إنها سمة مشتركة للعمل التجريبي بكل أنواعه. فعادة ما تختلف الإعدادات المخبرية في جوانب جوهرية عن فئات الموضوعات الطبيعية موضع الاهتمام. ولنأخذ في الاعتبار هنا قيام جاليليو جاليليو بالفناء جسمين مختلفين من فوق قمة برج بيزا المائل للحصول على معرفة حول سقوط جميع الاجسام أو تطويع مندل لنباته البازلاء للحصول على معرفة حول كيفية انتقال صفات الآباء والأبناء الوراثية في جميع أنحاء الممالك النباتية والممالك الحيوانية على السواء.

٢- التشابه المادي والقوة الإستمولوجية

عادة ما يرتكز الاعتقاد في الامتياز الإستمولوجي للتجارب على عمليات المحاكاة الحاسوبية على أفكار متعلقة بالقوة الاستدلالية النسبية لديهما. وعلى وجه الخصوص الفكرة القائلة بأن التجارب تقود إلى وضع استدلالات أفضل حول النظم أو الظواهر الطبيعية عما تفعل المحاكاة الحاسوبية. ويرتبط هذا الفارق بالعلاقة القائمة بين موضوعات الدراسة وأهداف التحقيق. فعندما يدرس باحث نظاماً واحداً بقصد عمل استدلالات حول نظام آخر، فإن الأول يكون موضوعه والثاني هدفه. وهناك من فلاسفة العلم من استخلص حالة تميز للتجارب من الاعتقاد القائل بأن لموضوعات الدراسة التجريبية ارتباط قوي بالأهداف في العالم الطبيعي بحكم طبيعتها المادية المشتركة.

إن فرانثيسكو جوالا Francesco Guala يدعي أن هناك فرقاً أنطولوجياً أساسياً قائماً بين عمليات المحاكاة الحاسوبية والتجارب. ويكمن هذا الفرق بحسبه في "نوع العلاقة القائمة بين التجربة ونظامها المُستهدف من ناحية والمحاكاة وهدفها من ناحية أخرى. فيوجد في الحالة الأولى تطابق عميق، على المستوى «المادي»^(١١)، بينما التشابه القائم في الحالة الثانية مجرد تشابه صوري مجرد" (Guala, 2005, p 214). وبعبارة أخرى يكمن الفرق -بحسبه- في أنه بينما في التجربة القائمة بين الموضوع والهدف هي التشارك المادي العميق، فإن العلاقة القائمة بين الموضوع والهدف في المحاكاة الحاسوبية ليست سوى علاقة صورية مجردة.

ولقد زعمت ماري مورجان Mary Morgan وجهة نظر مماثلة (Morgan, 2002, 2003). بل وذهبت ابعدها من ذلك حين حثت على أن هذا الفارق هو بالضبط ما يجعل التجارب تتمتع بامتياز إستيمولوجي مقارنة بعمليات المحاكاة الحاسوبية. فبحسب مورجان "تمتلك التجارب التقليدية إمكانية أكبر على صنع استدلالات قوية حول العالم... لكون التكافؤ الأنطولوجي يوفر قوة إستيمولوجية" (Morgan, 2005, p 317). فإن الواقعة القائلة بأن موضوع المحاكاة يحمل فقط تشابه بصوري مع هدفه يجعل -وفقا لها- مهمة تأسيس الصحة الخارجية للمحاكاة الحاسوبية أصعب بكثير من القيام بها في حالة التجربة.

قد يبدو لأول وهلة أن هناك بعض أوجه الصواب في هذا الاعتقاد. فعادة ما يكون التجريب على عينة فعلية أو تقريبية فيزيقية للهدف في العالم الطبيعي أفضل سبيل لفهمه عندما نعرف القليل للغاية عن الهدف موضع السؤال، وحينما تكون الخلفية المعرفية ذات الصلة قليلة للغاية. فعلى سبيل المثال عندما يصبح لدينا قليل من الثقة في فهمنا للكيفية التي ستعمل بها مجموعة جديدة من الأدوية في جسم الإنسان من البديهي أن نضع مزيداً من الثقة في اختبارات الفئران.

ولكن هل من الصحيح أن الاستدلالات الواقعة حول النظم المستهدفة تكون أكثر قوة وتبريراً عندما تكون النظم التجريبية والنظم المستهدفة من الفئة نفسها عنه عندما يكون كلاهما من فئات مختلفة؟

ترى باركر أن هذا ليس صحيحاً دائماً. ففي حالة التنبؤ بالطقس يريد العلماء التنبؤ بشكل موثوق فيه بدرجات الحرارة وقت الظهيرة في مختلف المدن. ولكن من الصعب للغاية بناء نموذج مختبري من الفئة نفسها يمكن استخدامه لصنع مثل هذه التنبؤات؛ جزئياً لأنه من الصعب للغاية وضع هذا النموذج في حالة أولية تعكس ما يكفي من بنية درجة الحرارة المركبة في الغلاف الجوي الحقيقي. وبدلاً من ذلك يتم عند الممارسة استخدام المحاكاة الحاسوبية. ولما كان العلماء يعرفون من الاستخدام السابق أن بعض هذه النماذج غالباً ما نجحت في التنبؤ، ولو بدرجات قليلة، بدرجات حرارة وقت الظهيرة على الأقل لبعض المدن موضع الاهتمام، فمن الممكن أن يكون تبريراً في استخلاص استنتاجات حول درجات الحرارة تلك على أساس تنبؤات نماذجهم المحاكية

الحاسوبية. وليس على أساس تجارب النماذج المخبرية التي من الفئة نفسها على الغلاف الجوي (Parker, 2009, p 492).

تذهب باركر بهذا إلى أن الاهتمام بالمادية كما رأينا هو اهتمام في غير محله؛ لأن ما يهم في النهاية عندما يتعلق الأمر بالاستدلالات المبررة حول النظم المُستهدفة ليس المادية، وإنما التشابه ذي الصلة. فإن كل ما يحتاجه العلماء لكي يُبرروا مثل هذا الاستدلال هو دليل على أن النظام التجريبي مُشابه للنظام المُستهدف في أي نواحي ذات صلة، وبحسب السؤال المُحدد الذي يريدون الإجابة عليه حول النظام المُستهدف. ولهذا قد تكون هذه التشابهات ذات الصلة تشابهات صورية أو تشابهات مادية أو مزيجاً من الاثنين، وذلك بحسب نوع التجربة والنظام اللذين في المتناول. إن صنع النظم التجريبية والنظم المُستهدفة من المواد نفسها ليس ضماناً للحصول على التشابهات ذات الصلة كما هو الحال في التنبؤ بالطقس. ويمكن القول انه حتى عندما يتم صنع النظم التجريبية والنظم المُستهدفة من المواد نفسها، قد يكون هناك عدة أسباب لعدم تشابه النظم في جميع النواحي ذات الصلة، وبالتالي تصبح الاستدلالات المحددة حول النظم المُستهدفة غير مُبررة.

إن فكرة التشابه المادي ضعيفة للغاية؛ فقد يكون للموضوع التجريبي نفسه عدة أهداف، وربما يتطابق مادياً مع هدف معين بينما من غير الواضح ما إذا كان يتطابق مادياً مع الأهداف أخرى. كما أن فكرة مجرد التشابه الصوري غامضة أيضاً.

٣- نسبية سياق الاستخدام والخلفية المعرفية

يبدو حتى اللحظة الراهنة أن التجارب ليست أكثر قوة إستمولوجية من عمليات المحاكاة الحاسوبية. ولكن هل هناك فروق إستمولوجية وأنطولوجية مُهمة بينهما من حيث التحديات التي يواجهها كل منهما؟

يحاول وينسبرج معالجة هذه القضية عن طريق الاعتقاد بأن هناك اختلافات إستمولوجية بين التجربة والمحاكاة الحاسوبية حتى على الرغم من أن الأولى قد لا تكون أكثر قوة إستمولوجية من الثانية. فعلى الرغم من أن كلا النشاطين يواجهان تحديات إستمولوجية، إلا أنه يذهب إلى أن أنواع التحديات التي يواجهها كل منهما مختلفة للغاية. وما يميز الاثنين هو طابع الحجة الممنوحة لشرعية الاستدلال من الموضوع للهدف وطابع الخلفية المعرفية المؤسسة لهذه الحجة. وبالرغم من شيوع هذه الممارسة في التجريب المعتاد

یدعی وینسبرج أن ما نهتم بنمذجته في التجربة التقليدية ما أطلق عليه الموضوع الواقع تحت الدراسة وليس النظام المُستهدف. ومن ثم، يتم استخدام مبادئ بناء النموذج لتبرير الصحة الداخلية للتجربة. بينما نهتم في المحاكاة الحاسوبية بالنظام المُستهدف وعلاقته بالعالم الخارجي، وبالتالي ما نهتم به هنا هو الصحة الخارجية (Winsberg, 2010, p 66).

ليخلص وينسبرج إلى أن أيًا من هذه الشروط لا يعني أن للمحاكاة الحاسوبية إمكانية أقل في صنع استدلالات قوية حول العالم. ولكن بالرغم من أننا نتفق بالتأكيد على أن المحاكاة الحاسوبية قادرة بالقدر نفسه على صنع استدلالات حول العالم، ليس من الواضح بالنسبة لنا أن الفرق بين التجربة والمحاكاة الحاسوبية ينبغي أن يقوم على الفرق بين الصحة الداخلية والصحة الخارجية. فعند تأسيس فرض حول نظام فيزيائي نجد أن تأسيس الصحة الداخلية للتجربة هي ببساطة أول خطوة في هذه العملية. وبدون ذلك لا يكون لدينا أي أساس لافتراض شرعية النتيجة. ولكن الصحة الخارجية أمر بالغ الأهمية أيضًا في التجربة عند افتراض أن النتائج التجريبية صادقة حول العالم الفيزيائي. وبناء عليه، يتركنا التركيز فقط على الصحة الداخلية عند تشخيص التجربة بلا أي منهجية لصنع الاستدلالات المطلوبة.

إننا نريد الذهاب إلى أنه من الصعب -وليس من الصحة في شيء- إطلاق أحكام عامة حول الفروق الإبستمولوجية والفروق الأنطولوجية بين التجربة بمعناها التقليدي والمحاكاة الحاسوبية. فإن هذه الفروق، وكذلك مسألة ما إذا كان للتجربة قوة إبستمولوجية أعلى أو متساوية أو أقل مما للمحاكاة الحاسوبية أو العكس، تعتمد بشكل أساسي ونسبي على سياق استخدام كل منهما، والخلفية المعرفية المتوفرة عن الظاهرة المُستهدف دراستها وكيفية نمذجتها بدقة كافية. لكل منهما ظروف استخدام ولكل منهما حياته الخاصة.

فإن المحاكاة الحاسوبية للنظام الشمسي، المستندة على نماذج أكثر تطورًا حول الديناميكيات السماوية، ستنتج تمثيلات أفضل لمدارات الكواكب من أي تجربة. وفي الوقت نفسه يمكن تحقيق أنواع معينة من الاكتشافات العليّة فقط عبر التجارب التقليدية المعتادة.

الخاتمة

إننا نذهب إلى أن المحاكاة الحاسوبية ظاهرة جديدة نوعياً في الممارسة العلمية، بل ونذهب إلى حد القول أنها ظاهرة تغير الممارسة العلمية ليس فقط من حيث التجريب ولكن بالنسبة للعلم ككل. ولقد اوضحت دراستنا هنا كيف تحظى إستمولوجيا المحاكاة الحاسوبية بمعالم جديدة خاصة بها وفي الوقت نفسه تشابهات مشتركة مع آليات إستمولوجيا التجربة على نحو ما تبنت عند أنصار مدرسة التجريبية الجديدة. وقمنا بذلك عبر جهود بعض فلاسفة علم المحاكاة الحاسوبية من أمثال باركر ووينسبرج.

وقد قمنا بعرض وجهات النظر المختلفة حول طبيعة الفروق الإستمولوجية والفروق الأنطولوجية بين هذين النشاطين. ووجدنا أنه من الصعب طرح أحكام عامة حول هذه الفروق بشكل مفصل؛ كونها مسألة تعتمد بشكل محوري على السياق النسبي الذي يتم فيه استخدام التجربة أو المحاكاة الحاسوبية، ومدى توافر الخلفية المعرفية المتاحة عن النظام أو الظاهرة المُستهدفة.

فعندما تكون المعرفة الأساسية ذات الصلة في موضعها الصحيح، تستطيع المحاكاة الحاسوبية أن توفر معرفة موثوق فيها عن النظام أكثر مما تفعل التجربة. فعلى سبيل المثال، من اليسير نسبياً في دراسات المحاكاة الحاسوبية استقصاء النظم الفرضية التي تنتهك عدد من قوانين الطبيعة بينما من غير الواضح كيفية إجراء ذلك عبر التجربة التقليدية؛ كوننا نعمل فيها داخل الأجسام الفيزيائية التي تتصرف بحسب تلك القوانين. وبالتالي يمكننا استخدام النماذج المحاكاة الحاسوبية للتحقيق في جوانب تغيرات المناخ المستقبلية التي يتعذر الوصول إليها بأي قياسات فعلية. وينطبق الأمر نفسه في مجال الفيزياء الفلكية، عندما تقع محاولات فهم بنية المجرات وحياء النجوم، بدون الزعم بأن هذه المعرفة التي نحصل عليها عن طريق المحاكاة الحاسوبية في مثل هذه السياقات أدنى بأي حال.

وفي بعض الاحيان الأخرى يكون المردود الإستمولوجي للتجربة التقليدية، بسبب اتصال عيّي بالنظام المُستهدف، أعلى ثقة في التوافق الواقع بين النموذج والنظام المُستهدف، وإلا ما انفقنا أموالاً طائلة لبناء متصادمات ضخمة تم تصميمها لاختبار النتائج التي توصلت إليها عمليات محاكاة مونت كارلو الحاسوبية لتفاعلات الجسيمات.

الهوامش

(١) نذكر من ضمن هذه الدراسات:

Humphreys 1991, Rohrlich 1991, Hughes Winsberg 1999 a, 1999 b). (1999).

(٢) بالرغم من اعتراف كل من فريج Frigg ورايس Raiss (Frigg & Reiss, 2009) أن عمليات المحاكاة الحاسوبية قد ساهمت بشكل كبير في إحداث تغييرات مهمة في العلوم المختلفة، ينكرون استحقاق هذه التغييرات أي اهتمام فلسفي. وأحد الأهداف الرئيسة لهذا البحث توضيح خطأ مثل هذا التصريح.

(٣) التجربة الفكرية: طريقة لاختبار فرض ما بتخيل، أو بالتفكير في، ما من شأنه أن يحدث (أي ما الذي يمكن ملاحظته؛ وما الاختلاف الذي يمكن أن ينتج) إذا كان هذا الفرض صادقاً. وأياً كان الأمر، فإن مثل هذه التجربة مثيرة للجدل، وإن كانت كتقنية تتمتع برواج كبير فيما بين الفلاسفة والعديد من العلماء، بمن فيهم جاليليو ونيوتن وأينشتين (بسيلوس، ٢٠١٨، ص ص ٣٥١-٣٥٢).

(٤) حظت النماذج بأهمية كبيرة لدى العلم، كما أقر الفلاسفة بأهميتها. وقد كان مُحصلة ذلك كثرة أنواع النماذج في الدراسات الفلسفية؛ كونها تتعلق بمشاكل وأسئلة مختلفة. من ضمن هذه الأسئلة: ما نوعية الأشياء المدعوة نماذج؟ كيف تمثل النماذج؟ وكيف نحصل على معرفة عن طريقها؟ ما مدى موثوقية معرفتها؟ ما صلتها بالنظريات؟ ما الآثار المترتبة عليها فيما يتعلق بالواقعية العلمية والتفسير إلخ؟ وبالطبع كان لاختراع الحاسوب في مرحلة معينة تأثير كبير؛ كونه يسمح بحل المعادلات التي لا يمكن التعامل معها إلا بالمحاكاة الحاسوبية. لترتبط هذه المحاكاة -على وجه الخصوص- بالنماذج الديناميكية التي تمثل التطور الزمني للنظام المُستهدف. وبالتالي يمكن للنموذج الديناميكي أن يكون في حالات مختلفة في أوقات مختلفة، وعادة ما تتوافق كل حالة مع مجموعة مُحددة من القيم التي تتخذها المتغيرات الواقعة في النموذج. وسيصبح هذا النموذج قادراً على أن يكون ممثلاً للحالات المختلفة بحسب التبدلات الممكنة منطقياً أو فيزيائياً للقيم التي تتخذها المتغيرات. وبناء عليه، يستعين المحاكي الحاسوبي ببناء نموذج ديناميكي للنظام الذي

يريد دراسته، بوصفه تمثيلاً دقيقاً له، ليتعامل بعد ذلك مع هذا النموذج بدلاً من النظام المُستهدف نفسه. فإن المحاكاة الحاسوبية هنا تقلد عملية عن طريق عملية أخرى.

(٥) تعني المحاكاة في المعجم العربي في مدلولها العام المماثلة والمشابهة في الفعل والقول، ويعود أصل لفظ المحاكاة إلى فعل حكى. ففي معجم "لسان العرب" نجد أنها جاءت من "حكى: الحكاية: كقولك حكيت فلانا وحكيتك، فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجازه، وحكيت عنه الحديث حكاية، وحكوت عنه حديثاً في معنى حكيتك، وفي الحديث: ما سرني أي حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا أي فعلت مثل ما فعله. يقال: حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة، والمحاكاة المشابهة تقول: فلان يحكي الشمس حسناً ويحاكيها بمعنى" (ابن منظور، ١٩٩٤، ص ١٩١). وفي "المعجم الوجيز" نجد أنها تعود إلى فعل حكى، "يقال: حكى الشيء حكاية، أي أتى بمثله وشابهه، والمضارع يحكي أي يشابه ويمثله، وحاكاه أي شابهه في القول والفعل أو غيرهما" (مجمع اللغة العربية، ١٩٩٧، ص ١٦٥). ويُقصد في المعجم الإنجليزي أكسفورد Oxford بالمحاكاة Simulation أنها "أسلوب لتقليد سلوك أو موقف أو نظام (اقتصادي، ميكانيكي) عن طريق استخدام نموذج مشابه، وذلك إما لجمع المعلومات الملائمة عن النظام أو لتدريب أشخاص على هذا الموقف" (Thompson, 1996, P 851). وقد استعمل مفهوم المحاكاة لأول مرة مع الفلاسفة والمفكرين، فالمحاكاة مفهوم يوناني، ميتافيزيقي الأصل Mimesis، حيث استحوذ هذا المفهوم على اهتمام كبير من قبل أفلاطون وأرسطو خاصة في ميدان الأدب والفن بكل تجلياته، ومنه قول أرسطو «الفن محاكاة للطبيعة». فأفلاطون وأرسطو كان لكل منهما تصوراً خاصاً حول نظرية المحاكاة (وهبة والمهندس، ١٩٨٤، ص ٣٣٩). لكن ما يهمنا في هذه الورقة هو كيف نفهم مفهوم المحاكاة حاسوبياً؟ والمحاكاة بوصفها تقنية هي "تمثيل وظائف النظام؛ وهذا بإعادة تمثيل سلوكه باستعمال نموذج تطوره عبر الزمن بدلالة قواعد معينة وهذا من أجل الاستنباط" (صليبا، ١٩٩٤، ص ٣٤٩).

(٦) طريقة مونتي كارلو هي طريقة لحل المشاكل المختلفة في الرياضيات الحسابية عن طريق بناء عملية عشوائية لكل مشكلة تكون لها متغيرات تساوي الكميات المطلوبة في المشكلة. ويتم تحديد المجاهيل تقريباً عن طريق عمل ملاحظات على العملية العشوائية وحساب الخصائص الإحصائية والتي تتساوى تقريباً مع المتغيرات المطلوبة (Sobol, 1974, p. 9).

(٧) يقصد بالتجربة وفق المعنى التقليدي أنها نشاط تحقيقي يتضمن تدخل في النظام، وملاحظة كيف تتغير خصائص هذا النظام موضع الاهتمام في ضوء هذا التدخل.

(٨) أستاذ فلسفة العلوم المساعد في جامعة جنوب فلوريدا.

(٩) التأييد Confirmation: هو العلاقة بين البيئة والنظرية، والتي بمقتضاها تدعم البيئة النظرية (بسيلوس، ٢٠١٨، ص ٧٣).

(١٠) أستاذة فلسفة العلوم المساعد في جامعة دورهام.

(١١) بالطبع ليست كل عمليات المحاكاة عمليات محاكاة حاسوبية. فهناك فئة من التقنيات التي يتم استخدامها للتحقيق في الطبيعة تنطوي على شيء ندعوه محاكاة، وليس له علاقة بأجهزة الحاسوب، أيضاً.

(١٢) يقصد جوالاً، بحسب نصه، بالتطابق المادي أن الموضوع والهدف في التجربة «مصنوعين من المادة نفسها». وبعبارة أخرى بينهما علاقة هوية، واعتبار الموضوع عينة من فئة الهدف الأنطولوجية نفسها، على نحو ما يجرب علماء الكيمياء على عينات من اليورانيوم لمعرفة المزيد عن خصائصه.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

- ابن منظور. (١٩٩٤). لسان العرب. (ط.٣). (المجلد ١٤). بيروت: دار الصادر.
- بسيلوس، ستانس. (٢٠١٨). فلسفة العلم من الألف إلى الياء. ترجمة: د. صلاح عثمان. (ط.١). (عدد ٢٥٣٩). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- بوبر، كارل. (١٩٨٦). منطق الكشف العلمي. ترجمة: د. ماهر عبد القادر. (ط.١). بيروت: دار النهضة العربية.
- صليبا، جميل. (١٩٩٤). المعجم الفلسفي. (ط.١). (ج.٢). بيروت-لبنان: الشركة العالمية للكتاب.
- مجمع اللغة العربية. (١٩٩٧). المعجم الوجيز. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- وهبة، مجدي والمهندس، كامل. (١٩٨٤). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. (ط.١). بيروت: مكتبة لبنان.

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

- Franklin, A. (1996). *The Neglect of Experiment*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Frigg, R. & Reiss, J. (2009). The Philosophy of Simulation: Hot New Issues or Same Old Stew. *Synthese*. 169(3): 593–613.
- Gilbert, N. & Troitzsch, K. (1999). *Simulation for the Social Scientist*. Philadelphia: Open University Press.
- Guala, F. (2005). *The methodology of experimental economics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Hacking, I. (1983). *Representing and Intervening: Introductory Topics in the Philosophy of Natural Science*. Cambridge: Cambridge University Press.
- _____ (1992). Do thought experiments have a life of their own? Comments on James Brown, Nancy Nersessian and David Gooding. *PSA: Proceedings of the Biennial Meeting of the Philosophy of Science Association* 2: 302–308.

- Hughes, R. (1999). The Ising Model, Computer Simulation, and Universal Physics. In M. Morgan and M. Morrison (eds.). *Models as Mediators*. (pp. 66–96). Cambridge: Cambridge University Press.
- Humphreys, P. (1991). Computer Simulations. In A. Fine, M. Forbes and L. Wessels (eds.). *PSA 1990, Vol. 2*, East Lansing: Philosophy of Science Association, pp. 497–506.
- Mayo, D. (1996). *Error and the Growth of Experimental Knowledge*. Chicago: University Of Chicago Press.
- Morgan, M. (2002). Model experiments and models in experiments. In M. Lorenzo and N. Nancy (eds.). *Model-Based Reasoning: Science, Technology, Values* (pp 41–58). New York: Kluwer.
- . (2003). Experiments without material intervention: Model experiments, virtual experiments and virtually experiments. In *The Philosophy of Scientific Experimentation* (pp 216–35). Radder, H. (ed.). Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press.
- . (2005). Experiments versus models: New phenomena, inference, and surprise. *Journal of Economic Methodology*. 12(2), 317–329.
- Parker, W. (2008a). Franklin, Holmes and the Epistemology of Computer Simulation. *International Studies in the Philosophy of Science*. 22(2): 165–83.
- . (2008b). Computer Simulation through an Error-Statistical Lens. *Synthese*. 163(3): 371–84.
- . (2009). Does Matter Really Matter? Computer Simulations, Experiments and Materiality. *Synthese*. 169(3): 483–96.
- . (2013). Computer Simulation. In S. Psillos and M. Curd (eds.). *The Routledge Companion to Philosophy of Science* (pp 135-145), 2nd Edition. London: Routledge.
- Rohrlich, F. (1991). Computer Simulation in the Physical Sciences. In A. Fine, M. Forbes and L. Wessels (eds.). *PSA 1990, Vol. 2*, East Lansing: Philosophy of Science Association, pp. 507–18.

- Sobol, I. M. (1974). *The Monte Carlo method*. Translated and adapted from the second Russian edition by Robert Messer, John Stone, and Peter Fortini. Chicago: University of Chicago Press.
- Thompson, D (ed.). (1996). *Oxford Dictionary of Current English*. Oxford: Oxford University Press,
- Weber, M. (2005). *Philosophy of Experimental Biology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Weissart, T. (1997). *The genesis of simulation in dynamics*. New York: Springer.
- Winsberg, E. (1999a). *Simulation and the philosophy of science: Computationally intensive studies of complex physical systems*. Ph.D. diss. Indiana University.
- _____. (1999b). Sanctioning Models: The Epistemology of Simulation. *Science in Context*. 12 (2): 275–92.
- _____. (2001). Simulations, Models, and Theories: Complex Physical Systems and their Representations. *Philosophy of Science*. 68 : S442-S454.
- _____. (2003). Simulated Experiments: Methodology for a Virtual World. *Philosophy of Science*. 70, 105–125.
- _____. (2010). *Science in the Age of Computer Simulation*. Chicago: The University of Chicago Press.